ملاحظات في خطط الحلة حتى الحكم الجلائري

الدكتور عماد الدين خليل

تعرضت بغداد في الثامن عشر من شهر محرم لعام ٦٥٦هـ لهجوم القوات التترية بقيادة هولاكو، واضطر قائد الخليفة العباسي الى التراجع بجيشه الضئيل الى قلب بغداد، وتسلل عدد من الاهالي هاربين الى الحلة والكوفة«١». وخلال الحصار ارسل اهالي الحلة وفداً علوياً الى هولاكو ليلتمسوا اليه ان يعين لهم شحنة«٢»فاجابهم الى طلبهم وارسل كلا من «خان بوكله» والامير «بجلي النخجواني»ثم الحق بهما الامير التتري «بوقا تيمور» لجس نبض اهالي الحلة والكوفة وواسط والوقوف على مدى اخلاصهم للتتر. وما ان وصل الوفد التتري الى مشارف الحلة حتى خرج اهلوها للاستقبال فاقاموا جسراً على الفرات، واعلنوا الافراح ابتهاجاً بقدوم التتر. ولما شاهد بوقا تيمور ترحيبهم واخلاصهم غادر الحلة في العاشر من صفر متوجهاً نحو واسط «٣».

ما لبث التتر ان اخضعوا—في فترة قصيرة من الزمن—معظم انحاء العراق، بعد ان قتلوا وفتكوا بعدد كبير من سكانه وخربوا مساحات واسعة من المواقع التي تصدت لهم. كما قتل معظم افراد البيت العباسي باستثناء البعض ممن استطاع الفرار والنجاة. ويمكن القول ان المقاومة الجدية للغزو التتري بين سنتي ٦٥٦ و٦٦٠هـ لم تقم الا في الجانب الشرقي من بغداد، وفي اربل وواسط والموصل«٤».

« ١ » رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، ص ٢٨٦.

« ٢ » هو الشخص المسؤول عن قضايا الامن والادارة، وهي وظيفة استحدثها السلاجقة. انظر: حسين امين: نظام الحكم في العصر السلجوقي «مجلة سومر / مجلد ٢٠/ سنة ١٩٦٤».

« ٣ » رشيد الدين فضل الله، المصدر السابق، ص ٢٩٥-٢٩٦.

« ٤ » جعفر خصباك الادارة الايلخانية في العراق « مجلة كلية الاداب، حزيران ١٩٥٩، ص ٣٠»

وهكذا نجد ان مدينة الحلة لم تبد اية مقاومة للتتر، ولم يلحقها بناء على ذلك الحرق والتخريب والتهديم في قليل او كثير، كما لحق المدن والمواقع الاخرى ومن ثم يمكن اعتبار هذه المدينة—من حيث خططها العامة—استمراراً للعصر الذي سبق السيطرة التترية، وان المصادر التي تصف خطط الحلة في الفترة السابقة هذه، لابد وان تعطي ايضاحاً—في الخطط على الاقل — لتلك المدينة في الفترة التالية كذلك .

ومدينة الحلة حديثة العهد بالنسبة لمدن العراق الاخرى، فبينما اسست البصرة والكوفة في مطلع القرن الاول للهجرة، وانشئت واسط في النصف الثاني منه، وبغداد في النصف الاول من القرن الثاني، نجد الحلة قد اسست في اواخر القرن الخامس للهجرة. وهذه المدن جميعاً من نتاج الحضارة الاسلامية الا ان ما يميز الحلة عن المدن الاخرى في العراق، ان تلك المدن انشئت بامر من خلفاء الدولة الاسلامية وتحت اشرافهم المباشر، كما هو الحال في بغداد او اشراف نواب عنهم كما هو الحال بالنسبة للبصرة والكوفة وواسط. اما الحلة فقد انشأها أحد الامراء المحليين، وهو سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس ابن علي بن مزيد الاسدي، وكان يسكن هو وقبيلته من بني اسد في منطقة النيل المتفرع عن الفرات الاوسط، فلما قوي امره واشتد ازره وكثرت امواله لانهماك السلاجقة بالحروب والصراع فيما بينهم، انتقل باهله وعساكره الى منطقة تدعى «الجامعين»، غربي الفرات، ليبعد عن ملاحقة السلاجقة، وذلك في مطلع عام ٤٩٥هـ، وكانت هذه المنطقة «اجمة تأوى اليها السباع» فاستقر بقبيلته هناك حيث بنى واصحابه المساكن الواسعة والدور الفاخرة، وسرعان ما غدت مدينة واسعة من أفخر بلاد العراق وأحسنها. واخذ التجار يقصدونها من كل مكان، وغدت قصبة تلك المنطقة. «٥» ومن هنا غدا اسمها: الحلة بعد ان كان يطلق على المنطقة اسم «الجامعين». فكلمة حلة لغة: «القوم النزول وفيها كثرة» . «٦»

« ٥ » ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٤-٢٩٥.

« ٦ » المصدر السابق، ٢/٢٩٤.

لم يمض وقت قصير على انشاء الحلة حتى تفوقت في أهميتها وعمرانها على مدينة اخرى كانت قد انشئت في العصر الاموي في منطقة الفرات الاوسط، وسميت باسم بانيها «قصر ابن هبيرة» ، وغدت في القرن الرابع الهجري اكبر مدينة بين بغداد والكوفة، واشتهرت بكثرة اسواقها، الا انه ما ان بدأ القرن السادس الهجري حتى كانت قد انحطت وضعف شأنها بارتفاع شأن الحلة، حتى ان موضعها اليوم اصبح غير معروف، وان اشارت اليها الخرائط كمجموعة من الخرائب شمالي بابل القديمة.«٧»

كانت الحلة تقع على الجانب الايمن من فرع الفرات الذي كان يسمى آنذاك نهر سورا، وسرعان ما علا شأنها بسبب وجود جسر عظيم معقود على مراكب متصلة، وصار طريق الحج من بغداد الى الكوفة يمر بهذا الجسر بعد ان بطل الطريق المار بقصر ابن هبيرة والذي كان قد آل حينذاك الى الخراب.«٨» واغلب الظن ان هذا العامل الديني، وهو الحج، كان له اثره الكبير في السرعة التي تميز بها نمو هذه المدينة، اذ ان موقعها على طريق الحج بالقرب من العاصمة بغداد جعل منها المحطة الكبيرة الاولى لقوافل الحجاج السنوية التي تجتمع في بغداد من مختلف انحاء العالم الاسلامي، ثم تتجه الى مكة—تحت اشراف نواب عن الحكومة—مارة بالحلة. ويسهب الرحالة ابن جبير في وصف تلك القوافل المارة بالمنطقة ذهاباً وايابا، فيشير الى ان الخليفة العباسي هو الذي امر بعقد الجسر على الفرات اهتماماً بامر الحاج واعتناء بسبيله، وكانوا قبل ذلك يعبرون بالمراكب...«ومن مدينة الحلة يتسلل الحاج ارسالا، وافواجاً افواجاً، فمنهم المتقدم والمتأخر والمتوسط، لا يعرج المستعجل على المتعذر ولا المتقدم على المتأخر، فحيثما شاؤوا من طريقهم نزلوا وأراحوا واستراحوا...» ويذكر كيف ان كثرة القناطر المعترضة طريق الحجاج بين بغداد والحلة هي التي كانت تضطرهم الى التفرق وعدم السير سوية، ومن ثم يجدون في الحلة

«٧» كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٩٧-٩٨.

«٨» المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨.

مجالا واسعاً لاعادة تجمعهم وتنظيم سيرهم من جديد تحت اشراف امير الحجاج الذي يعينه الخليفة لهذا الغرض، والذي يقيم في الحلة—في كل موسم— ثلاثة ايام لتنظيم مسير الحجاج. «٩»

ان الذاهب الى الحلة، الان، يجد على الضفة الغربية للنهر بقايا اسواق وخانات وبيوت قديمة تشير طريقة بنائها وتنظيمها وقدم آجرها الى انها بنيت منذ عهد قديم يعود الى عدة قرون. ولقد مر بنا شيء عن ظروف بنائها وتطورها ومن ثم أخذت تنمو وتتسع بشكل تدريجي، وقد ساعدها موقعها على ذلك، فهي في منطقة خصبة كثيرة المياه كثيفة الزراعة، بالاضافة الى كونها تقع على خطوط المواصلات التجارية البرية والنهرية، كما انها كانت—كما مربنا— محطة مهمة لقوافل الحجاج القادمين من بغداد. وفوق ذلك كله لم تتعرض الحلة لهزات سياسية وعسكرية عنيفة كما حدث بالنسبة للمدن الاخرى كالبصرة على يد الزنج وبغداد والموصل على يد جحافل التتر.

وباستطاعتنا ان نلقي نظرة على خطط هذه المدينة، في اواخر القرن السادس الهجري، بحيث نستطيع تكوين صورة تقريبية لها، هذه الصورة التي استمرت محتفظة بسماتها الرئيسية طيلة القرن السابع الذي هو مدار البحث. وعلى هذا، فان الصورة التي قدمها ابن جبير اثر زيارته للحلة في اواخر القرن السادس، تساعدنا على تصور معالم المدينة خلال القرون التالية ايضاً، خاصة وان ابن بطوطة، الذي زار المدينة خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، قد قارب في وصفه للمدينة سلفه ابن جبير الى حد كبير.

فالحلة «مدينة كبيرة، عتيقة الوضع، مستطيلة، لم يبق من سورها الا حلق من جدار ترابي مستدير بها، وهي على شط الفرات، يتصل بها من جانبها الشرقي ويمتد بطولها» «١٠» ولم يقتصر عمران الحلة على الجانب الغربي من الفرات بل امتد فشمل بعض مساحات الجانب الشرقي كذلك. «١١»

«٩» رحلة ابن جبير، ص ١٨٩-١٩٣.

«١٠» رحلة ابن جبير، ص ١٨٩.

«١١» المستوفي القزويني: عن لسترنج، المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨.

هذا هو أهم ما تقدمه لنا المصادر عن خطط الحلة. وعلى كل، فان الذي يميز المدينة كونها ممتدة بشكل مستطيل على ضفاف النهر، وانها كانت في البداية تقتصر على الضفة الغربية، ثم اتسعت وامتدت الى الضفة الاخرى-حيث اقيمت دور السكن والاماكن العامة والاسواق، وهكذا غدا نهر الفرات يخترق المدينة من وسطها. الا ان سكنى الجانب الشرقي جاءت في وقت متأخر نسبياً، اذ ان ابن جبير لم يتطرق لذكر شيء من ذلك. وعلى ما يظهر لم تكن الحلة، اثناء زيارته لها في اواخر القرن السادس الهجري، قد شملت الضفة الاخرى. اما القزويني الذي ذكر ذلك فانه من معاصري ابن بطوطة «منتصف القرن الثامن الهجري». وهكذا راح هذا الجانب الجديد من الحلة يتسع، حتى غدا —خلال عقود معدودة— ينافس الى حد ما الجانب الغربي. ثم اننا نجد ان الحلة كانت تشابه بقية المدن الاسلامية في العصر الوسيط من حيث احاطتها بسور، لم يبق منه في القرن السادس الهجري، سوى بقايا جدار ترابي مستدير. وكان الامير سيف الدولة صدقة —مؤسس الحلة— قد بنى هذا السور من الطين«١٢» ليخلصها —الى حد ما— من هجمات واخطار القبائل العربية المحيطة بالمنطقة.

كانت المدينة قوية العمارة، وهذا ما يفسر وجود بقايا من آثارها حتى اليوم على الضفة الغربية للنهر. ويشير ابن بطوطة الى كثرة هذه العمارة«١٣»، وهذه الظاهرة، بالاضافة الى ازدحام السكان، تشير الى سعة الحلة وامتدادها —في فترة قصيرة— شمالا وجنوباً على نطاق واسع، كما تشير الى السبب في اتخاذ الضفة المقابلة منطقة للسكنى. واذا ما اضفنا الى ذلك كثرة حدائق النخيل في المدينة، داخلا وخارجاً، وانتشار دور السكنى بين هذه الحدائق«١٤»، عرفنا مدى سعة المدينة .

ان اشهر ما كان يميز الحلة — كمدينة كبيرة — انتشار بساتين النخيل

« ١٢ » ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج٩، ص ٢٣٦.

« ١٣ » تحفة النظار، ص ٢٢٠.

« ١٤ » رحلة ابن جبير، ص ١٨٩، ابن بطوطة، المصدر السابق ٢٢١.

في مناطقها المختلفة، تلك البساتين التي شجع صدقة بن مزيد على زراعتها «١٥»، بحيث غدت الدور محاطة بهذه الحدائق، فكان ذلك سبباً لرطوبة هوائها، واعتدال مناخها. وربما كان كل بيت—في الحلة—يحتوي على مجموعة خاصة به من اشجار النخيل، كما كان سائداً في بعض مناطق بغداد حتى العصر الحاضر، وقد تفصل كل بيت عن الاخر مجموعة من الاشجار، وبهذا لا يكون هناك اتصال مباشر بين البيوت مما يؤدي الى كثرة الممرات والدروب وعدم تداخل مناطق السكنى مع بعضها على العكس مما حدث بالنسبة للكوفة والبصرة على سبيل المثال. وربما كانت البيوت تشكل مجموعات متصلة مع بعضها، تفصل بين كل مجموعة واخرى حدائق النخيل، والدروب التي تتخللها.

اغلب الظن ان جسر الحلة كان يعد من اهم معالمها العمرانية، على الاقل بالنسبة للسواح الذين زاروها في تلك الفترة، حيث نجد كلا من ابن جبير، وابن بطوطة من بعده، يسرع في استعراض المدينة وبيوتها ومعالمها بكلمات معدودة لينتهي بالجسر، حيث يسهب في وصفه فهو «جسر عظيم معقود على مراكب كبار متصلة من الشط الى الشط، تحف بها من جانبها سلاسل من حديد كالاذرع المفتولة عظماً وضخامة، ترتبط الى خشب مثبتة في كلا الشطين تدل على عظم الاستطاعة والقدرة.» «١٦» وقد مر بنا كيف ان الخليفة العباسي امر بعقد هذا الجسر على الفرات اهتماماً بالحجاج واعتناء بسبيلهم، وكان هؤلاء، قبل ذلك، يعبرون بالمراكب. ويشبه ابن بطوطة الجسرين المعقودين ببغداد بجسر الحلة، «١٧» مما يشير الى مدى ضخامة هذا الجسر واهميته.

وتخلو المصادر من تحديد مكان السوق الرئيسي والمسجد الجامع، واغلب الظن انهما كانا اقرب الى الضفة منه الى الجهات الداخلية من المدينة ليكونا على مقربة من النهر الذي يشكل الطريق الحيوي للذهاب والاياب والنقل التجاري. كما انهما كانا متجاورين شأنهما في هذا شأن معظم المدن الاسلامية. ومن

« ١٥ » ابن الجوزي، المنتظم، ج٩ص٢٣٦.

« ١٦ » رحلة ابن جبير، ص ١٨٩، ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٢٢٠.

« ١٧ » تحفة النظار، ص ٢٢٣.

المقطوع به انهما كانا يقعان في الضفة الغربية التي انشئت الحلة في ربوعها، وهي التي تمثل الجانب الاكثر اهمية وقدماً واتساعاً من الضفة الشرقية. هذا وليس بين ايدينا ما يشير الى اماكن المؤسسات الاخرى في الحلة وبخاصة دار الامارة. ولمدينة الحلة «اسواق حفيلة جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية»«١٨»، ولا ريب ان غنى المنطقة الزراعي وموقعها التجاري على شبكة من طرق المواصلات البرية، وصلاحية نهرها لسير السفن صعوداً وهبوطاً«١٩»وكونها محطة لقوافل الحجاج العظيمة، قد ادى جميعاً الى نمو اسواقها بحيث غدت حافلة جامعة للمرافق والبضائع المختلفة، وكانت الحركة التجارية في اسواقها مستمرة«٢٠»وتهافت اليها التجار من كل مكان ومن ثم اصبحت من «افخر البلاد» «٢١» وتجب الاشارة—كذلك—الى ان وجود عدد كبير من القبائل البدوية المحيطة بالمنطقة ادى الى ان تغدو الحلة مركزاً تجارياً لتبادل المنتجات بين المراكز البدوية والحضرية .

اما الصناعة فلابد وان تكون الحلة قد بلغت مرحلة بعيدة من الرقي في نشاطها الاقتصادي بحيث احتوت اسواقها عدداً كبيراً من الصناعات الضرورية كما يشير كل من ابن جبير وابن بطوطة، واغلب الظن ان الحلة كانت في هذه الفترة قد ورثت صناعات النسيج المختلفة وفنونها العريقة التي عرفتها منطقة الفرات الاوسط منذ قيام الحيرة في العهد الساساني، وخاصة بعد ما لحق قصر ابن هبيرة من خراب، اذ كان هذا الموقع هو المركز التجاري والصناعي في المنطقة قبل ظهور الحلة.

فاذا ما انتقلنا الى النشاط الزراعي، وهو الاساس الحيوي لاقتصاديات معظم البلاد آنذاك فاننا سنجد الحلة والمناطق المحيطة بها بستاناً واسعاً لانتاج شتى الغلال والثمار بسبب خصوبة التربة ووفرة المياه وملاءمة المناخ، فضلا

« ١٨ » رحلة ابن جبير، ص ١٨٩، ابن بطوطة، تحفة النظار ص ٢٢٠.

« ١٩ » رحلة ابن جبير، ص ١٩٠.

« ٢٠ » ابن حوقل، صورة الارض، ص ٢٤٥ «حاشية».

« ٢١ » ياقوت، معجم البلدان، ٣٢٢/٢ (طبعة ليبزج)، ابن بطوطة، المصدر السابق ص ٢٢٠.

عن اهمية موقعها الذي يشجع على تصريف هذه المنتجات.

ويصف ابن جبير الطريق الصاعد من الحلة الى بغداد بانه«احسن ط وأجملها في بسائط من الارض وعمائر، تتصل بها القرى—اي المراكز الزراع يميناً وشمالا. ويشق هذه البسائط اغصان من ماء الفرات تتسرب وتسق ويشير الى ان هذه الارض كانت منبسطة على امتداد النظر وان الامن منتشر «٢٢». وهذا ولا ريب من اهم العوامل المساعدة على ازدهار النش الزراعي في المنطقة. ولنستأنف رحلتنا مع ابن جبير على الطريق بين الحلة وبغ الى ان نصل«قرية تعرف بالقنطرة، كثيرة الخصب، كبيرة المساحة متد جداول الماء، وارفة الظلال«بأشجار» الفواكه، من أحسن القرى وأجملها. والفينا حصاد الشعير بهذه الجهات....وقرى هذه الطريق—من الحلة الى بغدا على هذه الصفة من الحسن والاتساع...» «٢٣» والمنطقة بصورة عامة—فضلا هذا الطريق— كثيرة القرى والمزارع والضياع والمراكز الزراعية «٢٤»

واهم ما كانت تنتجه هذه المنطقة هو الحنطة والشعير والارز «٥ وقد بلغ انتاج الغلال هذا حداً كبيراً جعل المنطقة اشبه بمخزن لتزويد العاص بغداد بالغلال في اوقات الحاجة «٢٦»

كما كانت تكثر في المنطقة زراعة الكروم التي تصنع منها الخم الجيدة «٢٧» وازدهر—كذلك—انتاج الفواكه المختلفة«٢٨»بسبب وفرة ا وملاءمة المناخ. هذا فضلا عن انتشار اشجار النخيل التي كانت تغل انو

« ٢٢ » رحلة ابن جبير، ص ١٨٩-١٩٠.

« ٢٣ » المصدر السابق، ص ١٨٩-١٩٠.

« ٢٤ » انظر: ابن الوردي، خريدة العجائب ص ٣٩، ورحلة ابن جبير ص ١٩٠ والاصطخ مسالك الممالك، ص ٨٧.

« ٢٥ » ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٠٨، رحلة ابن جبير، ص ١٨٩-٩٠

« ٢٦ » ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٣١/٤٤٧.

« ٢٧ » البكري، معجم ما استعجم، ج١ص ٢٨٠، ياقوت (طبعة ليبزج ٤٤٧/١، ٨٥/٣،

« ٢٨ » رحلة ابن جبير، ص ١٩١.

مختلفة من أجود التمور «٢٩» . كما انتشر في المنطقة نوع من القصب استخدم في بعض الصناعات المحلية «٣٠» وقد ساعدت كثرة الانهار والسطوح المائية على انتشاره. واعتماداً على هذا الازدهار الزراعي وبخاصة انتاج الغلال، فضلا عن كثرة المراعي بسبب وفرة المياه، انتشرت مهنة تربية المواشي والاغنام للاستفادة من منتجاتها في تنمية الدخل الفردي لعدد من سكان المنطقة، تلك التي شهدت اعداداً كبيرة من قطعان الماشية والاغنام «٣١» .

ادى هذا النشاط الاقتصادي التجاري والصناعي والزراعي الى زيادة سكان مدينة الحلة «وازدحامها بالخلق» «٣٢» وهنالك نص طريف يورده ابن جبير، يشير الى مدى ازدحام المنطقة المحيطة بالحلة بالسكان حيث يقول «رحلنا واجزنا جسراً على نهر يسمى النيل — يقصد جسر الحلة — وكان عليه ازدحام، فغرق كثير من الناس والدواب في الماء، فتنحينا مريحين الى ان انفرج ذلك المزدحم وعبرنا على سلامة وعافية والحمد لله » ! ! «٣٣» .

ويشكل العرب الغالبية العظمى لسكان الحلة التي تقع في منطقة يقطنها عدد من القبائل العربية كبني اسد وبني عقيل وبني عبادة وبني خفاجة فضلا عن ان نشأة الحلة واتساعها تم على يد امراء المزيديين من بني اسد الذين حكموا المنطقة فترة طويلة واعتمدوا على العرب الى حد كبير. والى جانب العرب كان هناك عدد لا بأس به من الاكراد «٣٤» واليهود حيث يشير الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الذي توفي في العقد السابع من القرن السادس الهجري، الى ان

« ٢٩ » ابن الجوزي، المنتظم، ١٤/٩، رحلة ابن جبير، ص ١٨٩، ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ص ٢٧٧. ابن بطوطة ، تحفة النظار ص ٢٢٠.

« ٣٠ » ابن الجوزي، المنتظم ٢٧/١٠.

« ٣١ » المصدر السابق، ٢٩/٨.

« ٣٢ » ابن حوقل، صورة الارض، ص ٢٤٥ (الحاشية).

« ٣٣ » رحلة ابن جبير، ص ١٩٠.

« ٣٤ » ابن بطوطة، ص ٢٢٠، وانظر ابن الجوزي، المنتظم ٦٠/٨، ٨٨، ٢٠٥.

عدداً من اليهود يبلغ زهاء عشرين الفاً كان يسكن بابل القريبة من الحلة«٣٥» هذا الى ان هناك عدداً من الاماكن اليهودية المقدسة كانت منتشرة في المنطقة، كما كانت مدينة «قصر ابن هبيرة» كثيرة اليهود ولما اندثرت هذه المدينة، واتسعت على حسابها نزح كثير من سكانها—بما فيهم اليهود—واستقروا هناك، منذ ذلك الوقت، وهذا يفسر السرعة التي ازدهرت بها اسواق الحلة وفعالياتها الاقتصادية .

ومعظم سكان الحلة كانوا يدينون بالمذهب الامامي «الاثني عشري» وهم ينقسمون الى طائفتين احداهما تعرف بالاكراد والاخرى تعرف باهل الجامعين، «والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم ابداً» «٣٦» وتورد المصادر عدداً من الروايات عن قداسة منطقة الحلة في نظر سكان تلك الجهات وانتشار الاضرحة والمقامات فيها. فهنالك على مقربة من شواطيء الفرات بين الحلة والكوفة قرية تذكر الروايات ان النبي الاسرائيلي حزقيال مدفون بها، وقد ابدى اليهود دائماً تقديسهم الشديد لهذا الضريح، فكانوا يحجون اليه ويقدمون له الصدقات الوافرة. «٣٧» وفي مدينة الحلة نفسها انتشرت مشاهد «الجمجمة»، والشمس، والجامعان، وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه. والى اسفل من الحلة قرية تدعى «شوشة» يقبع بها قبر ابي القاسم بن موسى بن جعفر «رض» «٣٨».

تأثر سكان الحلة بالاعتقادات السائدة حول الاضرحة والمزارات ، واصبحت لهم بالتدريج مجموعة من العادات والتقاليد المذهبية ، منها خروج مائة رجل من اهل المدينة كل مساء بكامل اسلحتهم ، حيث يتجهون الى امير

« ٣٥ » رحلة التطيلي، ص ١٤٠-١٤١ وانظر ابن الجوزي، المنتظم ٣٨/٩ ورشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ ، ص ٣٢. ويتطرق ابن الساعي في كتابه «الجامع المختصر» ص ٦٥ الى وجود بيت يهودي في الحلة هو بيت كمونة اليهودي وانه من البيوت المشهورة في القرن السابع الهجري.

« ٣٦ » ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٢٢٠ .

« ٣٧ » رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، ص ٣٢.

« ٣٨ » الهروي، الاشارات الى معرفة الزيارات ، ص ٧٦.

المدينة بعد صلاة العصر فيأخذون منه فرسا مسرجا ملجما او بغلة «فيضربون الطبول والبوقات امام تلك الدابة . ويتقدمها خمسون منهم، ويتبعها مثلهم ، ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ، ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون : باسم الله أخرج . قد ظهر الفساد وكثر الظلم ،وهذا اوان خروجك ، فيفرق الله بك بين الحق والباطل . ولا يزالون كذلك ، وهم يضربون الابواق والطبول الى صلاة المغرب. وهم يقولون ان محمدا بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه ، وانه سيخرج ، وهو الامام المنتظر عندهم «٣٩» ويشير ابن بطوطة الى ان اهل الحلة كانوا متطرفين في اعتقادهم المذهبي وانهم «رافضة غالية » . وكذلك الحال بالنسبة لعدد من القرى القريبة من الحلة . «٤٠»

غدت الحلة في وقت قصير — بعد بنائها — عاصمة للمنطقة الوسطى من العراق ، وقضت على شهرة واهمية المدن الاخرى في المنطقة كالكوفة وقصر ابن هبيرة وغيرهما . وقد حكمت في هذه المدينة ،منذ تأسيسها عام ٤٩٥ هـ ، اسرة بني مزيد الاسدية حكما ذاتيا . فترة تزيد على النصف قرن «٤١» ، ظهر خلالها عدد من الامراء المزيديين الذين كان لهم دور في الاحداث السياسية التي شهدها العراق طيلة هذه الفترة . وقد ساعد وجود هذه الامارة في الحلة على نمو هذا المركز في شتى المجالات العمرانية والدينية والبشرية والاقتصادية ،حيث مرت الحلة في عهد هذه الاسرة — رغم طابعها البدوى — في فترة من الهدوء والاستقرار مهدت لنمو مرافقها المختلفة .

وفي عام ٥٥٩ هـ، وجهت الضربة الاخيرة لبني مزيد الاسديين في الحلة، حيث توجه اليهم الخليفة العباسي المستنجد بالله على رأس قواته ،وتمكن من اجلاء بني اسد — وبضمنهم المزيديون — عن المنطقة ، بمساعدة بعض القبائل

« ٣٩ » ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٢٢٠-٢٢١.

« ٤٠ » المصدر السابق، ص ٢٢٠-٢٢١.

« ٤١ »انظر زامباور، معجم الانساب والاسرات الحاكمة، مجلد ٢،ص ٢٠٧-٢٠٨.

المجاورة «٤٢» لذا نجد المدينة تغدو ، بعد هذا الهجوم ، مجالا لتحكم القبائل العربية المجاورة .

وفي اثناء زيارة ابن بطوطة للعراق ، في اواخر العقد الثالث من القرن الثامن الهجرى ، اشار الى مدينة الحلة بقوله : «كان قد غلب عليها ، بعد موت السلطان — الايلخاني — ابي سعيد ، الامير محمد بن رميثة بن ابي نمي اميرمكة وحكمها اعواما ، وكان حسن السيرة يحمده اهل العراق ، الى ان غلب عليه الشيخ حسن — الجلائرى — سلطان العراق . . . . .» «٤٣»

وهكذا تقلبت الحلة بعد سقوط بني مزيد في ايد عديدة الى ان غدت جزءاً من ممتلكات الدولة الجلائرية التي قامت في العراق على انقاض الايلخانيين قبيل منتصف القرن الثامن الهجرى . وكانت حتى ذلك الحين من الاهمية والسعة بحيث جذبت اليها انظار الرحالة والجغرافيين ، فخصصوا لها فقرات من تصانيفهم لوصفها وتوضيح معالمها .

« ٤٢ » ابن الاثير ، الكامل ، ١١/١١٩-١٢٠ .

« ٤٣ » تحفة النظار ، ص ٢٢٢ .

— اهم المصادر —

١ — الاصطخرى : ابو اسحق ابراهيم بن محمد «ت٣٤٦هـ» . مسالك الممالك ، نشردى غوية ، بريل — ليدن ، ١٩٢٧ .

٢— ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتي «ت٧٧٩هـ» . تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، بيروت ، دار صادر — ١٩٦٠ .

٣— البكرى : ابو عبد الله بن عبد العزيز البكرى «ت٤٨٧هـ» . معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ — ١٩٥١ .

٤ — بنيامين : ابن يونه التطيلي الاندلسي « ٥٦١ — ٥٦٩هـ» . الرحلة ، ترجمة عزرا حداد ، المطبعة الشرقية ، بغداد — ١٩٤٥ .

٥ — ابن جبير : ابو الحسين محمد بن احمد الاندلسي «ت٦١٤هـ» . الرحلة ، دار صادر ، بيروت — ١٩٥٨ / ١٩٥٩ .

٦— ابن الجوزى: ابو الفرج عبد الرحمن «ت٥٩٧هـ » . المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، مطبعة دائرة المعارف ، حيدر آباد ، ١٣٥٨ .

٧— ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن علي «ت٣٦٧ هـ» . صورة الارض ، نشردي غوية ، ط٢ ، ليدن — بريل ١٩٣٨ .

٨ — رشيد الدين : فضل الله الهمذاني «ت٧١٨ هـ» . جامع التواريخ ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة — ١٩٦٠ .

٩- ابن الفوطي : ابو الفضل عبد الرزاق «ت٧٢٣ هـ» .
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، المكتبة العربية ، مطبعة الفرات ، بغداد — ١٣٥١ هـ .

١٠ —الهروى : ابو الحسن علي «ت٦١١ هـ» .
الاشارات الى معرفة الزيارات ، تحقيق سورديل ، دمشق — ١٩٥٣ .

١١ —ابن الوردى : عمر بن مظفر بن عمر «ت ٧٤٩ هـ» .
خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، المطبعة الشرقية ، مصر — ١٣١٤ هـ .

١٢ —ياقوت الحموى : شهاب الدين ابو عبد الله «ت ٦٢٦ هـ» .
معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر — ١٩٥٧ ، ليبزج ١٨٦٦ — ١٨٧٠ «تحقيق فستنفلد» .